هوارد زين

مكتبة بغداد

ماركس في سوهو

ترجمة: الحارث النبهان

مسرحية

Author : Howard Zinn	اسم المؤلف : هوارد زين
Title : Marx in Soho	عنوان الكتاب : ماركس في سوهو
Translator: Al Hares Al Nabhan	المترجم : الحارث النبهان
Al- Mada P.C.	الناشر : المدى
First Edition : 2005	الطبعة الأولى : سنة ٢٠٠٥
Arabic Copyright © Al- Mada	الحقوق العربية محفوظة

"First published in the United States by South End Press, 7 Brookline Street 1, Cambridge, MA 02139-4146, USA. www. southendpress.org.
© Howard Zinn 1999 For right, contact: south-end@southendpress.org"

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria

P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289

www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان -بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧

E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١

مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير

تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣

www.almadapaper.com

almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

هوارد زين

ماركس في سوهو

ترجمة:
الحارث النبهان

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عن هوارد زين

"ما الذي أستطيع قوله، لينقل بطريقتي، ما أشعر به من حب واحترام وإعجاب لهذا البطل المتواضع الذي كان أستاذي ومعلمي، هذا المؤرخ الجذري و"مثير الشغب" المحب للناس، هذا الرجل الذي وقف معنا وعانى معنا؟ كان هوارد زين أفضل وأظرف معلّم لي على الإطلاق".

أليس ووكر

"لا يكف هوارد زين، وهو من نشر المنظور الشعبي لتاريخ الولايات المتحدة، بمفرده تقريبا، عن ابتكار طرق جديدة لتعليمنا. ها هو يطل علينا بمسرحية ماركس في سوهو. مسرحية تمزج بين الفكاهة والمعرفة الصادمة، بين السياسة الحادة والمتعة الخالصة. إن زين، ببساطة تامة، ثروة قومية".

إليزابيث مارتينيز

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الفهرس

مقدمة	9
ماركس في سوهو	21
عن المؤلف	59
ملاحظة عن "ماركس في سوهو"	61
كتب أخرى لهوارد زين	63

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مقدمة

قرأت "البيان الشيوعي" للمرة الأولى عندما كنت في السابعة عشرة تقريبا. وأنا متأكد من أن الذي أعطاني إياه كان شيوعياً شاباً عاش في حينا العمالي. كان تأثير البيان عليَّ عميقا، لأن كل ما كنت أراه في حياتي الخاصة، وحياة والديّ، وظروف الولايات المتحدة في ١٩٣٩، بدا لي مفسراً وموضوعاً في سياقه التاريخي تحت ضوء تحليلي جبار.

لقد استطعت رؤية أن والدي، وهو مهاجر يهودي من النمسا لم يتجاوز تعليمه الصف الرابع، كان يعمل بكد شديد ليتمكن بصعوبة من إعالة زوجته وأولاده الأربعة. ورأيت والدتي تعمل ليل نهار لتؤمن طعامنا وكساءنا والعناية بنا عند مرضنا. كانت حياتهما كفاحاً مستمراً للبقاء. كنت أعلم أيضا أن في هذه الأمة أناساً يملكون ثروات مذهلة دون أن يشقوا كما يشقى والديّ.

كانت تحيط بي، في زمن الركود الاقتصادي ذاك، أسر شديدة العوز دون ذنب ارتكبته. أسر عاجزة عن دفع أجور سكنها، يقذف المالكون بحاجياتها إلى الشارع بقوة القانون. وكنت أعلم من الصحف أن هذا ما كان يجري في طول البلاد وعرضها.

كنت قارئاً. قرأت الكثير من روايات ديكنز مذ كنت في الثالثة عشرة. وقد أيقظت فيّ سخطاً على الظلم، وتعاطفاً مع من يتعرضون للمعاملة السيئة من جانب مخدوميهم المحميّين بالنظام القانوني. والآن، في عام ١٩٣٩، قرأت "عناقيد الغضب" لجون شتاينبيك فأعادت لي ذلك السخط القديم الذي صار موجهاً ضد الأثرياء وأصحاب السلطة في هذه البلاد.

في "البيان" وصف ماركس وإنجلس (كان ماركس في الثلاثين وإنجلس في الثامنة والعشرين) ما كنت أعيشه، وما كنت أقرأ عنه. وهو ما فهمت الآن بأنه لم يكن شذوذاً خاصاً بإنكلترا القرن التاسع عشر، ولا بأمريكا في زمن الركود الاقتصادي، بل حقيقةً أساسية من حقائق النظام الرأسمالي. وفهمت بأن هذا النظام، المتجذر عميقا في العالم الحديث، كان حقبة محددة في التاريخ. وأنه سيغادر المسرح ذات يوم ليحل محله نظام اشتراكي. كانت تلك الفكرة ملهمة لي.

"إن تاريخ كل المجتمعات التي وجدت إلى الآن هو تاريخ الصراع الطبقي"، كما صرّحا في الصفحة الأولى من البيان. وهكذا، لا يتواجه الفقراء والأغنياء كأفراد، بل كطبقات. وهذا ما يجعل النزاع بينهم ضخماً. ويشير إلى أن للناس العاملين، للناس الفقراء، ما يجمعهم معا في سعيهم للعدالة. إنه عضويتهم المشتركة في الطبقة العاملة.

وماذا عن دور الحكومة في هذا الصراع الطبقي؟ لقد نقشت عبارة "عدالة واحدة للجميع" على واجهات الأبنية العامة. كان ماركس وإنجلس قد كتبا في البيان الشيوعي: " لا تعدو السلطة التنفيذية في الدولة الحديثة كونها لجنة لإدارة الشؤون العامة للبرجوازية". وقد طرحا فكرة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

مروّعة: ليست آلة الدولة حياديةً، فهي في خدمة الطبقة الرأسمالية، رغم ما تدّعيه.

فجأة، وفي السابعة عشرة من عمري، رأيت هذه الفكرة مجسدة. فقد اصطحبني أصدقائي الشيوعيون إلى مظاهرة في ساحة التايمز. رفع مئات الأشخاص الرايات معلنين احتجاجهم على الحرب ومعارضتهم للفاشية، وساروا في الشارع. سمعت صفارات، وهاجم الحشد رجال الشرطة من الخيالة. أفقدتني الوعيَ ضربةٌ من أحد رجال الشرطة السرية. وعندما أفقت، وبينما كان الصفاء يعود لذهني، لم أستطع التفكير إلا بفكرة واحدة مزعجة: الشرطة، الدولة، تنفذ أوامر أصحاب الثراء الواسع. أما مقدار ما يتمتع به المرء من حرية الكلام والتجمع فهذا معتمد على الطبقة التي هو منها.

في الثامنة عشرة مضيت للعمل في حوض سفن في بروكلين كمجمِّع سفن متدرب(كان عملنا جمع الألواح الفولاذية لأجسام السفن الحربية بوساطة البراغي ومسامير التثبيت)، كنت لتوي قد صرت "واعياً طبقيا". عثرت على ثلاثة من العمال الشباب مثلي في حوض السفن، وتولينا تنظيم زملائنا المتدربين الذين تم استبعادهم من النقابات الحرفية. واتفقنا أيضا على لقاء أسبوعي لقراءة أعمال ماركس وإنجلس.

وهكذا قرأت عرض إنجلس للفلسفة الماركسية في كتابه "ضد دوهرينغ" (وهو جدال ضد كاتب يدعى دوهرينغ)، وشققت طريقي بجهد بالغ عبر الجزء الأول من "رأس المال".

أثارني أن أرى النظام وقد عرض عارياً. فبعد كل تعقيدات التبادل الاقتصادي، ثمة حقائق مركزية مؤكدة: العمل هو مصدر كل القيم

المادية. وهو ينتج قيمة أعلى من أجره الضئيل. تذهب تلك القيمة الزائدة إلى جيوب الطبقة الرأسمالية. يحتاج الرأسماليون البطالة -"جيش العمل الاحتياطي"- لإبقاء الأجور منخفضة. يقدس النظام الأشياء، وخاصة النقود، أكثر من البشر، إنها"الصنمية البضاعية". من هنا يقاس كل ما هو جيد في الحياة بقيمته التبادلية.

تشرح النظرية الماركسية أن الاستغلال والصراع الطبقي ليسا بالظاهرتين الجديدتين في التاريخ، لكن الرأسمالية وصلت بهما إلى النقطة القصوى، وعلى نطاق العالم كله. كانت الرأسمالية قوة تقدمية في التاريخ عند مرحلة ما من التطور البشري. "لعبت البرجوازية، تاريخياً، دوراً شديد الثورية"، كما كتبا في "البيان الشيوعي". فقد أتاحت تطوراً علمياً وتقنياً هائلا، وخلقت ثراءً عريضاً. لكن هذا الثراء كان يتركز في أيد قليلة تتناقص عدداً. وقد وجد صراع أساسي بين قوى الإنتاج المتزايدة تنظيماً وفوضوية نظام السوق. وعند نقطة ما، ستنتظم البروليتاريا المستغلة وتثور، آخذةً السلطة بيدها، وتستخدم التقانة المتقدمة لتلبية الحاجات الإنسانية بدلاً من إغناء طبقة الرأسماليين.

كان هذا مدخلي الأول إلى ماركس. وبعد سنين - بعد أن خدمت كقاذف قنابل في القوة الجوية الثامنة خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد أن ذهبت إلى الكلية والمدرسة العليا بمساعدة "إعلان حقوق العسكريين المجندين"، وبفضل دعم زوجستي وولديّ - بدأت تدريس التاريخ والسياسة في كلية "سبيلمان" في الجنوب أولا، ثم قبلت وظيفة في جامعة بوسطن وانتقلت شمالا. وقد أوليت اهتماماً جدياً لكتابات ماركس وإنجلس في دروسي عن النظرية السياسية.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

غدوت مهتما بالفوضوية في لحظة ما في الستينيات، وذلك لأسباب كثيرة. كان أحدها تكاثر الأدلة على أهوال الستالينية في الاتحاد السوفييتي، وهو ما أوحى بضرورة إعادة تفحص المفهوم الماركسي التقليدي "لديكتاتورية البروليتاريا". أما السبب الثاني فكان تجربتي الشخصية في الجنوب في خضم الكفاح ضد الفصل العنصري الذي كانت رأس الحربة منه "لجنة التنسيق الطلابية اللاعنفية". لقد عملت هذه اللجنة (المعروفة باسم "سنيك")، ودون أي تنظير واع ذاتياً، بالانسجام مع مبادئ الفوضوية: لا سلطة مركزية، صنع القرار ديموقراطياً على المستوى القاعدي. ضمن اليسار الجديد في الستينيات، سمي هذا "الديموقراطية التشاركية".

بدأت القراءة عن الفوضوية، بادئاً بالفوضوية- الناشطة النسائية الأمريكية إيمّا غولدمان وصديقها ألكسندر بيركمان. ثم مضيت إلى بيتر كروبوتكين ومنه إلى ميخائيل باكونين. كان باكونين خصماً عنيفا لمفهوم ماركس عن كيفية حدوث الثورة. أما إيمّا غولدمان، والتي رحّلت إلى روسيا عام ١٩١٩ لمعارضتها الحرب العالمية الأولى، فقد وجدت أن الدولة السوفييتية الجديدة لم تكن تسجن أعداءها من البرجوازيين فحسب، بل والثوريين المختلفين معها أيضا. وقد انتقدت بشدة ما اعتبرته خيانة للحلم الاشتراكي. قادني هذا الانغماس في الفكر الفوضوي إلى إطلاق حلقة بحث في "الماركسية والفوضوية" في جامعة بوسطن.

من ١٩٦٥ (سنة التصعيد الجدي للحرب في فييتنام) إلى ١٩٧٥ (عندما استسلمت حكومة سايغون)، كنت منغمسا بقوة في الحركة

المعادية للحرب، وتركزت كتاباتي كثيرا في مواضيع متصلة بالحرب. وعندما انتهت الحرب، شعرت بالحرية في القيام بأمور أخرى، فكتبت مسرحية عن إيمّا غولدمان أسميتها: "إيمّا". قُدِّمت هذه المسرحية في بوسطن ونيويورك، وبعد سنوات قدّمت في لندن وطوكيو. في أحد مشاهد المسرحية نرى ثوريين نيويوركيين شبابا في مقهى "الطرف الشرقي" يتجادلون في الخلاف بين أفكار كل من ماركس وباكونين.

كنت شديد الاهتمام بالحياة الشخصية لكل من هؤلاء المفكرين. كانت السيرة الذاتية لإيمّا غولدمان: "أعيش حياتي"، سردا صريحا لحياتها العاصفة كثائرة، ليس في السياسة فقط، بل في الجنس أيضا. لم يكتب ماركس سيرته الذاتية قط؛ لكنني عدت لعدد من سيره لأرى حياته الخاصة. وفوق هذا كانت هناك سيرة لامعة لحياة ابنته إليانور ماركس بقلم الكاتبة الإنكليزية إيفون كاب، حيث تسرد فيها تفاصيل حياة أسرة ماركس في لندن.

انتقل كارل وجيني ماركس إلى لندن، بعد نفيه من بلد تلو الآخر في أوروبا. عاش الإثنان في منطقة سوهو الوضيعة، حيث كان الثوريون الوافدون إلى لندن من أنحاء أوروبا كلها يتقاطرون داخلين إلى منزلهما وخارجين منه. لقد فتنتني تلك المشاهد المتخيلة: ماركس في البيت، ماركس مع زوجته جيني، ومع ابنته إليانور.

أغرتني تجربتي مع إيمّا غولدمان بعالم المسرح، فشرعت بكتابة مسرحية عن كارل ماركس. وددت أن أظهر ماركس كما لم يعرفه إلا قلة من الناس. أن أصوّره كربّ أسرة يكافح ليقيت زوجته وأطفاله: مات لماركس ثلاثة أطفال لكن بقيت ثلاث من بناته.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وددت أيضا أن يرى النظارة ماركس مدافعاً عن آرائه. أعرف أن زوجته جيني كانت مفكرة رائعة، وقد تخيلتها في مواجهات مع ماركس من حين لآخر. وأعرف أن ابنته إليانور كانت طفلة لامعة ذات وعي مبكر. واستطعت رؤيتها تتحدى بعضاً من أكثر نظرياته تعقيدا. أردت أيضا أن أخضع أفكار ماركس لنقد الفوضوية، فقررت أن أختلق زيارة باكونين لمنزله. لا وجود، في الواقع، لما يثبت تلك الزيارة. مع أن ماركس وباكونين كانا يعرفان بعضهما بعضاً، وكانا خصمين عنيدين في "جمعية العمال العالمية" - الأممية الأولى.

ثمة نقص آخر في التقييمات المعتادة لماركس. ثمة تركيز كبير دائما على ماركس المفكر، المنظر. لكني أعلم أنه كان فائق النشاط كثوري أيضا؛ كصحفي متمرد في ألمانيا أولا، ثم كمشارك في الجمعيات العمالية في باريس وعصبة الشيوعيين في بروكسل. كان ناشطا في الراين خلال الثورات الأوروبية في ١٨٤٨، وهو ما قاد إلى محاكمته وتبرئته بعد كلمته المثيرة في المحكمة. وبعد نفيه إلى لندن، انضم لنشاط "جمعية العمال العالمية" رافعا لواء قضية الحرية الأيرلندية، ثم كان نصيراً لكومونة باريس عام ١٨٧١ .

لم تكن كتاباته في تلك الأيام مقتصرة على الكتابات النظرية في الاقتصاد السياسي، كما في "رأس المال". بل شملت ردوداً فورية على الأحداث السياسية: على ثورات ١٨٤٨، وعلى كومونة باريس، وعلى النضال العمالي في طول القارة الأوروبية وعرضها. من هنا، رغبت أن أضع هذا الجانب الآخر لماركس على خشبة المسرح: ماركس العاطفي المنغمس في النشاط الثوري. تضمنت المسرحيةُ التي كتبتُها شخصيات

ماركس وزوجته جيني وابنته إليانور، وكذلك صديقه إنجلس وخصمه السياسي باكونين. كان ثمة قراءة للمسرحية في بوسطن، وقد استقبلت على نحو جيد، لكنها لم ترضني. لذا فقد عمدت لتحويلها إلى مسرحية لشخص واحد.

كانت زوجتي روزالين، وهي ناقد متبصر لكتاباتي، تحثني على جعل المسرحية أكثر صلةً بزماننا بدلا من أن تكون عملاً تاريخيا عن ماركس وأوروبا القرن التاسع عشر. كنت أعلم أنها محقة بذلك. وبعد فترة من تدافع الأفكار، خرجت بفكرة أن ماركس يعود من حيث هو، وبنوع من الفانتازيا، إلى زماننا الحاضر. بل ويعود إلى الولايات المتحدة، بحيث يكون قادراً لا على الاستغراق في ذكريات حياته في أوروبا القرن التاسع عشر فحسب، بل وعلى التعليق على ما يجري هنا اليوم. وقررت أن تلك السلطات التي سمحت له بالمجيء، كائنة ما كانت، ستعيده، وبخطأ بيروقراطي ما، إلى سوهو النيويوركية وليس إلى سوهو اللندنية حيث عاش.

ومع أنها مسرحية لشخص واحد، فسوف يستحضر ماركس، عبر ذكرياته، أهم شخوص حياته، وأولهم زوجته جيني وابنته إليانور . كما سيستحضر باكونين الفوضوي. وسوف يُخضع هؤلاء، كلٌ بطريقته أفكارَ ماركس، لنقد قاس. ستكون جدلية مواقف متعارضة، مقدمة عبر استذكار ماركس تلك النقاشات.

كتبت هذه المسرحية وقت كان انهيار الاتحاد السوفييتي يثير ابتهاجاً شبه شامل في التيار المسيطر في الصحافة وفي صفوف القادة السياسيين: لم يكن الأمر اختفاء "العدو" فحسب، بل إن فكرة الماركسية

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ذاتها قد فقدت مصداقيتها: انتصرت الرأسمالية و "السوق الحرة"، وأخفقت الماركسية. الآن مات ماركس حقاً. رأيت من المهم توضيح أنه لا الاتحاد السوفييتي، ولا غيره من البلاد التي سمت نفسها "ماركسية" لكنها بنت دولاً بوليسية، يمثل مفهوم ماركس للاشتراكية. أردت أن أظهر ماركس غاضباً كل الغضب لتشويه نظرياته بحيث تساند الفظائع الستالينية. ورأيت من الضروري إنقاذ ماركس، ليس من أشباه الاشتراكيين الذين أقاموا حكماً قمعيا في أنحاء مختلفة من العالم فقط، بل من كل هؤلاء الكتاب والساسة الغربيين الذين يتشدقون بانتصار الرأسمالية الآن.

أردت بيان أن نقد ماركس للرأسمالية يبقى صحيحا من الوجهة الأساسية في زماننا هذا. يتأيد هذا النقد بعناوين الأخبار في الجرائد كل يوم. رأى ماركس السرعة والفوضى غير المسبوقتين في التغيرات التقنية والاجتماعية في زمانه، وهو ما ينطبق على زماننا بصدق أكبر. "التثوير المتواصل للإنتاج، والاضطراب المستمر للظروف الاجتماعية كلها، الحراك وعدم الاستقرار الدائمان اللذان يميزان الحقبة البرجوازية عن كل ما سبقها من أحقاب. العلاقات المجمدة الثابتة تنزاح بعيدا، مع كل منظومة الآراء والأحكام المسبقة القديمة المبجلة، وكل ما يصاغ حديثاً من آراء يتجاوزه الزمن قبل أن يتماسك. كل هذا يتبخر في الهواء". كان هذا كله في البيان الشيوعي.

ما نسميه "العولمة" اليوم، كان ماركس قد رآه بكل وضوح. ومرة أخرى "البيان الشيوعي": "تطارد البرجوازية حاجتها لأسواق متوسعة باستمرار لمنتجاتها في أصقاع الأرض كلها. لا بد لها أن تعشش في كل

مكان، أن تستقر في كل مكان، وأن تنشئ العلاقات في كل مكان... وبدلا من العزلة القومية والمحلية القديمة، بدلا من الاكتفاء الذاتي، نجد التواصل في كل اتجاه، نجد الاعتماد المتبادل بين الأمم". إن اتفاقيات "التجارة الحرة"، التي تسعى لها حكومة الولايات المتحدة منذ سنوات، إنما هي محاولات لإزالة كل قيد على التدفق الحر لرأس المال عبر الأرض كلها، ولإعطاء الرأسماليين الحق باستغلال الناس أينما كانوا.

ليست عناوين الصحف التي ينظر ماركس إليها في سياق المسرحية بمفاجئة له. لقد خبر الاندماجات بين الشركات العملاقة، وهي التي تحدث اليوم على نطاق أوسع. ورأى الهوّة المتنامية بين الفقراء والأغنياء، وهو ما لا يصح ضمن البلد الواحد فقط، بل بين غني الأمم وفقيرها بشكل أكثر مأساوية أيضا.

يقول ماركس، في المسرحية، إنه ليس للاشتراكية أن تتبنى صفات الرأسمالية. وعند ملاحظته كيف كان يعدم خصوم النظام في الدول شبه الاشتراكية يتأمل ماركس ما قاله عن نظام الجريمة والعقاب عندما كان يكتب في "نيويورك ديلي تريبيون" عام ١٨٥٣: "أليست هناك ضرورة للتفكر العميق في بدائل للنظام الذي يولّد هذه الجرائم، بدلا من تمجيد الجلاد الذي يشنق كثيرا من المجرمين، فقط ليفسح المجال أمام ظهور مجرمين جدد ؟"

نعيش في مجتمع تصفه عبارة ماركس "الصنمية البضاعية" أدق الوصف. قال رالف والدو إيمرسون، في نفس زمن ماركس تقريبا، مراقبا بداية النظام الصناعي الأمريكي:" تجلس الأشياء على السرج ممتطية صهوة الجنس البشري". تعتبر حماية أملاك الشركات أكثر أهمية من

https://telegram.me/maktabatbaghdad

حماية الحياة البشرية. وفي الواقع فقد قررت المحكمة العليا، في أواخر القرن التاسع عشر، أن الشركة "شخص"، وهي إذن محمية بفعل التعديل الرابع عشر، بل هي محمية في الواقع أكثر من السود الذين سنّ هذا التعديل من أجلهم.

لم يكن ماركس قد تجاوز الخامسة والعشرين، عندما كان يعيش في باريس مع جيني، حين كتب وثيقة مهمة، لم تنشر إلا بعد سنين كثيرة، عرفت باسم "المخطوطات الفلسفية والاقتصادية". كتب ماركس فيها عن الاغتراب في العالم الحديث، الاغتراب البالغ قمته في الرأسمالية، حيث اغتراب الناس عن عملهم، عن الطبيعة وعن بعضهم بعضاً، بل عن ذواتهم أيضا. إنها ظاهرة مرئية في كل مكان من حولنا في زماننا هذا، ظاهرة تنتج البؤس النفسي والمادي على حد سواء.

كرّس ماركس معظم كتاباته لنقد الرأسمالية، لكنه لم يخصص إلا القليل منها لوصف ما قد يكون عليه المجتمع الاشتراكي. لكننا نستطيع الاستقراء مما قاله عن الرأسمالية لنتخيل مجتمعا دون استغلال، يتوحد فيه البشر بالطبيعة، بالعمل الذي يؤدونه، ببعضهم بعضاً، وبأنفسهم. يعطينا ماركس علامات عن المستقبل عندما يصف، بعبارات متألقة، ذلك المجتمع الذي خلقته كومونة باريس عام ١٨٧١ خلال الأشهر القليلة التي عاشتها. لقد حاولت تضمين هذه الرؤية في المسرحية.

قد يتساءل بعض قراء " ماركس في سوهو" عن مدى دقتها التاريخية. إن الأحداث الرئيسية في حياة ماركس وتاريخ الفترة الزمنية صحيحة من حيث الأساس: زواجه بجيني، نفيه إلى لندن، وموت أولاده الثلاثة، والصراعات السياسية لذاك الزمان: نضال الأيرلنديين ضد

بريطانيا، ثورات ١٨٤٨ في أوروبا، الحركة الشيوعية وكومونة باريس. الشخصيات الأساسية التي يتحدث عنها صحيحة أيضا: أفراد عائلته، وصديقه إنجلس، وخصمه باكونين. الحوار مختلق طبعاً، لكنّي حاولت أن أكون أمينا لطبائع الشخصيات وتفكيرها، رغم أني تصرفت ببعض الحرية في تخيل الخلافات الآيديولوجية مع جيني وإليانور. وفي عدد غير قليل من الحالات، كما في وصف ماركس لنابوليون الثالث، استخدمت كلمات ماركس ذاتها.

آمل أن تلقي "ماركس في سوهو" الضوء، ليس على ذلك الزمان ومكان ماركس منه فحسب، بل على زماننا ومكاننا منه أيضا.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ماركس في سوهو

تضاء الأنوار جزئيا. يظهر الضوء المسلط على وسط المسرح خشبة عارية، إلا من طاولة وعدد من الكراسي. يدخل ماركس مرتديا معطفا وصداراً أسودين، وقميصا أبيض، وربطة عنق عريضة سوداء. إنه ملتح، قصير، ممتلئ، ذو شارب أسود وشعر في بداية المشيب، ويضع نظارة ذات إطار فولاذي. يحمل ماركس كيس تسوق. إنه يقف، ثم يمشي حتى حافة الخشبة. ينظر إلى الجمهور. يبدو مسرورا ومفاجأً بعض الشيء.

ثمة جمهور! شكرا لله.

يخرج مؤونته من الكيس: عدد من الكتب، جرائد، زجاجة من البيرة وكأس. ثم يستدير عائدا إلى مقدمة الخشبة.

جميل منكم أن تأتوا. لم يثنكم أولئك الحمقى القائلون: "مات ماركس". حسنا، متّ ولم أمت. إنه ديناميكيتك بالنسبة لكم.

لا مانع لديه من نكتة، عنه أو عن أفكاره. ربما لانت عريكته بعد كل هذه السنين. لكنك، وبمجرد أن تظنه قد لان، تلمح ثورة الغضب فيه.

قد تتساءلون كيف وصلت إلى هنا..... يبتسم بشقاوة..... بالمواصلات العامة.

لكنته بريطانية قليلاً، أوروبية قليلاً، ليس بالقدر الذي يلفت النظر، لكنها ليست أمريكية قطعاً.

لم أتوقع أن أعود إلى هنا .. أردت العودة إلى سوهو، حيث عشت في لندن. لكن..... ثمة اختلاط بيروقراطي. ها أنا ذا هنا، في سوهو- نيويورك..... يتنهد..... حسن، وددت دائما أن أزور نيويورك. يصب لنفسه كأسا من البيرة، يرتشف شيئا منه، ثم يضعه.

يتغير مزاجه.

لماذا عدت؟

يبدو عليه بعض الغضب.

لأدافع عن اسمي!

يبدأ بتوضيح الأمر.

كنت أقرأ صحفكم.... يلتقط واحدة منها. تدّعي كلها أن أفكاري قد ماتت! لا جديد في هذا. ما فتئ أولئك المهرجون يرددون هذا منذ أكثر من مائة سنة. ألا تتساءلون: ما الذي يجعل من إعلان موتي مراراً وتكراراً شيئا ضروريا بالنسبة لهم؟

إذن، وصلت إلى هنا. لقد طلبت الحق بالعودة لفترة قصيرة، لكن ثمة قواعد لهذا. لقد أخبرتكم: إنها بيروقراطية. من المسموح أن تقرأ، وأن تتفرج. لكن ليس أن تعود. لقد احتججت طبعا. وقد تلقيت بعض التأييد..... قال لهم سقراط: "لا تستحق حياة من غير سفر أن تعاش". أما غاندي فقد صام. هددت الأم جونز بالإضراب. وهرع مارك توين للدفاع عني بطريقته الغريبة الخاصة. أما بوذا فأنشد: أووووووم! لكن

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآخرين ظلوا صامتين. يا إلهي، ما الذي لديهم ليخسرونه في وضعهم هذا ؟

نعم، لقد اكتسبت سمعة مثير المتاعب هناك أيضا. فالاحتجاج مجْدٍ، حتى هناك. أخيرا قالوا:" حسنٌ، بوسعك الذهاب. لديك ساعة، أو نحو ذلك، لتعبر عمّا يجول بخاطرك. لكن تذكر، لا تحريض!". إنهم مؤمنون بحرية الكلام... إنما ضمن حدود..... يبتسم. إنهم ليبراليون.

لكم أن تنشروا الخبر: عاد ماركس، لبرهة وجيزة. لكن افهموا هذا الشيء - لست ماركسياً. يضحك. قلت ذلك مرة لبيبر فكاد يموت. علي أن أحكي لكم عن بيبر.

يرتشف قليلا من البيرة.

كنا نعيش في لندن. جيني وأنا والصغار، إضافة إلى كلبين وثلاث قطط وعصفورين. كنا لا نكاد نعيش. شقة في شارع دين، قرب مصب نفايات المدينة. كنا في لندن لأنني نفيت من القارة. طردت من الراين، من حيث ولدت.

لقد قمت بأمور خطرة. كنت محرراً لصحيفة "الجريدة الرينانية". لا تكاد تلك الصحيفة تكون ثوريةً. لكني أظن أن قول الحقيقة هو أكبر فعل ثوري يمكن أن يقوم به المرء.

كانت الشرطة تعتقل فقراء الراين لأنهم يجمعون الحطب من أملاك الأغنياء. كتبت افتتاحيةً للاحتجاج على هذا، فحاولوا فرض رقابة على الصحيفة. كتبت افتتاحيةً أخرى معلناً انعدام الحرية الصحفية في ألمانيا. فقرروا إثبات صدقي، وأغلقوا الصحيفة. عندها فقط غدونا

جذريّين - أليس بهذه الطريقة تجري الأمور؟. حمل الإصدار الأخير للجريدة الرينانية عنواناً ضخماً بالأحمر: "ثوروا". أزعج ذلك السلطات، فطردتني من الراين.

وهكذا رحلت إلى باريس، فإلى أين غيرها يذهب المنفيون؟ أين، في غيرها، تستطيع الجلوس في المقهى حتى الصباح، لتحكي الأكاذيب عن مقدار ثوريتك في بلدك الأول. نعم، إن كنت ستصبح منفيا فكن منفيا في باريس.

كانت باريس شهر عسل لنا. وجدت جيني شقة صغيرة في الحي اللاتيني. كانت أشهراً في الجنّة. لكن كلمة وصلت من الشرطة الألمانية إلى الشرطة الفرنسية. يبدو أن الشرطة قد طورت وعياً أمنياً قبل العمال بزمن طويل....

وهكذا طردت من باريس أيضاً. ذهبنا إلى بلجيكا، فطردنا ثانية.

جئنا إلى لندن، حيث يفد اللاجئون من كل أنحاء الأرض. تسامح الإنكليز مثير للإعجاب .... لكن تفاخرهم بذلك أمر لا يحتمل.

يسعل، وهذا ما سيحدث من حين لآخر. يهز رأسه.

قال الأطباء إن السعال سينتهي خلال أسابيع. كان ذلك عام ١٨٥٨.

لكني كنت أخبركم عن بيبر. في لندن، كان اللاجئون السياسيون من أنحاء أوروبا كلها، يترددون كثيراً على بيتنا. كان بيبر واحداً منهم. كان يصدح من حولي كالبوق. كان مجاملاً و متملقاً. كان يقف على بعد ستة إنشات مني، ليضمن عدم قدرتي على تجنبه، ويبدأ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الاستشهاد بكتاباتي. كنت أقول له: "بيبير، من فضلك، لا تستشهد بي أمامي".

كانت لديه الجرأة ليقول، ظاناً أنني سأسرّ، أنه سيترجم "رأس المال" للإنكليزية. عجيب، لم يكن الرجل قادراً على نطق جملة إنكليزية دون أن يذبحها ذبحا. الإنكليزية لغة جميلة. إنها لغة شكسبير. ولو سمع شكسبير بيبير ينطق بجملة إنكليزية واحدة لانتحر بالسم.

كانت جيني تشعر بالأسى لأجله. كانت تحب دعوته ليشارك أسرتنا الغداء. وذات مساء جاء بيبير معلناً تشكيل "جمعية لندن الماركسية".

سألته:"جمعية ماركسية، ما معنى ذلك؟"

" إننا نلتقي كل أسبوع لمناقشة أحد أعمالك. نقرأ العمل بصوت عال ونتفحصه جملة فجملة. لهذا ندعو أنفسنا ماركسيين، فنحن نؤمن تماما ومن أعماق قلوبنا بكل ما كتبت".

" تماما ومن أعماق قلوبكم؟"،سألت بيبير.

" نعم. وسيشرفنا يا سيدي الدكتور ماركس - كان يدعوني الدكتور ماركس دائما - لو تحدثت في اللقاء القادم للجمعية".

"لا أستطيع ذلك".

"لماذا"، سألني بيبير.

"لأنني لست ماركسيا". يضحك من كل قلبه.

لم تكن إنكليزيته السيئة لتزعجني. فإنكليزيتي أيضاً ليست كاملة. كانت طريقته في التفكير هي ما يزعجني. كان مصدر إحراج، كان تابعاً يدور حول كلماتي عاكساً إياها للعالم، لكنه كان يشوّهها. ثم

يتوسلون من أجل قروش في ذلك الهواء الوسخ....... رائحة لندن البشعة، نعم.

سيقول نقادي، محاولين التقليل من شأن ما ذهبت إليه في "رأس المال"، كما يقولون عن الكتاب الجذريين دائماً: "آه، لا بد أنه قد مر بتجربة شخصية قاسية". نعم، إذا أردتم الاستناد لهذا فقد غذى ذلك المسير إلى منزلي في سوهو هذا الغضب الذي ترونه في "رأس المال".

أسمعكم تقولون: " حسنا، بالطبع، هذا ما كان عليه الحال آنذاك، منذ قرن". أآنذاك فقط؟ في طريقي إلى هنا مررت بشوارع مدينتكم المحاطة بالقمامة، متنفساً هواء فاسداً. مررت بأجساد رجال ونساء نائمين في الشوارع متكومين على بعضهم اتقاء البرد. وبدلا من سماع الصبايا ينشدن الأغاني سمعت صوتاً يهمس في أذني... متوسلاً: "بضعة قروش يا سيدي، من أجل فنجان قهوة".

غاضبا الآن: أتدعون هذا تقدماً؟. ألأن لديكم سيارات وهواتف وآلات طائرة ومائة نوع من العطور حتّى تحسّنوا رائحتكم؟ وماذا عن الناس النائمين في الشوارع؟

يلتقط صحيفة وينظر إليها. تقرير رسمي: بلغ الناتج القومي الصافي (نعم، الصافي) للولايات المتحدة الأمريكية سبعة آلاف مليار دولار. مؤثر جداً... لكن أخبروني، أين هو؟ من المستفيد منه، ومن لا يستفيد؟ يقرأ من الصحيفة ثانية: يسيطر أقل من ٥٠٠ شخص على ألفي مليار دولار من الموجودات الرأسمالية. هل هؤلاء الناس أكثر نبالة، أم أكثر جداً في عملهم، أم أنهم أكثر قيمة للمجتمع من أمٍّ في شقة

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يدافع عن التشويه كما يفعل المتعصبون، مديناً كل من يفهمها بشكل مغاير.

قلت لجيني ذات مرة: "أتعرفين ما أكثر ما أخشاه؟"

فقالت: " أن لا تحدث الثورة العمالية أبداً؟"

"لا، بل أن تحدث الثورة، ويستولي عليها أناس مثل بيبر. متملقون وهم خارج السلطة، مستأسدون ومتبجحون عندما يملكونها. دوغمائيون. سيتكلمون باسم الطبقة العاملة، وسيفسرون أفكاري للعالم. سينشئون كهنوتاً جديداً، تراتبية جديدة بما فيها من حرم كنسي وقوائم بالممنوعات، وبما فيها من محاكم تفتيش وفرق إعدام".

"سيحدث ذلك كله باسم الشيوعية، مؤخراً شيوعية الحرية مائة سنة أخرى، وقاسماً العالم بين إمبراطوريات رأسمالية وأخرى شيوعية. سيشوهون حلمنا الجميل. وستلزم ثورة أخرى، وربما ثورتان وثلاثة، لتنظيف ذلك كله. هذا ما أخشاه".

لا. لم أكن لأسمح لبيبر بترجمة "رأس المال" للإنكليزية. لقد مثّل خمسة عشر عاما من العمل - في ظروف سوهو. كنت أمشي كل صباح ماراً بالمتسولين النائمين وسط المجاري، شاقا طريقي إلى المتحف البريطاني ومكتبته الرائعة لأعمل هناك حتى الغسق، قارئاً وقارئاً..... أثمّة ما هو أكثر بلادة من قراءة الاقتصاد السياسي؟... يفكر قليلاً. نعم إنها الكتابة في الاقتصاد السياسي.

أعود لبيتي عبر شوارع بدأ يلفها الظلام، مستمعاً للباعة ينادون بأسعار بضائعهم، ولمشوهي حرب القرم، عميان وفاقدي الأرجل،

مستأجرة تعتني بثلاثة أطفال طيلة الشتاء ولا مال لديها لدفع فاتورة التدفئة؟

ألم أقل، منذ مائة وخمسين عاماً، إن الرأسمالية ستزيد ثروة المجتمع زيادة هائلة، لكن ذلك الثراء سيتركز في أيدٍ يقل عددها باستمرار؟ يقرأ من الصحيفة: " اندماج ضخم بين كيميكال بانك وتشيز مانهاتن بانك. سيفقد إثنا عشر ألف عامل وظائفهم.... الأسهم ترتفع". ويقولون إن أفكاري قد ماتت.

أتعرفون قصيدة أوليفر غولدسميث "القرية المهجورة"؟

" سأجوب الأرض حاثاً على إنهاء الشرور،

حيث يتراكم الثراء ويتآكل البشر".

نعم، يتآكلون. هذا ما رأيته عندما سرت في مدينتكم هذا الصباح. بيوت تتآكل، مدارس تتآكل، وبشر يتآكلون. بعد ذلك، سرت أبعد قليلا. فجأة صرت محاطاً برجال ظاهري الثراء، ونساء متزينات بالجواهر والفراء. سمعت صوت صفارات الشرطة. أكان عنفٌ ما يحدث في الجوار؟ أكان ثمة جريمة ترتكب؟ هل كان أحدهم يحاول أخذ جزء من الناتج القومي الخام، بشكل غير قانوني، ممن سرقوه قانونيا؟

إنها عجائب نظام السوق. بنو البشر يخفّضون إلى مجرد سلع، وتحكم حياتهم تلك السلعة الفائقة، النقود.

تضاء الأنوار وتنطفئ بشكل تهديدي. ينظر ماركس للأعلى ويسرّ للنظارة: لا تحب اللجنة هذا !

ترق نبرته، متذكراً: في تلك الشقة الصغيرة في سوهو، كانت جيني

https://telegram.me/maktabatbaghdad

تطبخ الحساء الحار والبطاطا المسلوقة. وكان لدينا خبز طازج من عند صديقنا الخباز بأسفل الشارع. كنا نجلس حول الطاولة نأكل ونحكي عن أحداث يومنا: نضال الأيرلنديين من أجل الحرية، الحرب الأخيرة، حماقة حكام البلاد، معارضة سياسية تقصر نفسها على التوافه، وصحافة جبانة..... أفترض أن الأمور تغيرت الآن، إيه؟

كنا ننظف الطاولة بعد العشاء، ثم أبدأ العمل. كنت أعمل حتى الثالثة أو الرابعة صباحاً وبقربي سيجاري وكأس من النبيذ. كانت الكتب تتكوم على ناحية من الطاولة، والتقارير البرلمانية على الناحية الأخرى. أما جيني فتجلس إلى الطرف الآخر من الطاولة، وتنسخ ما أكتبه- كان خطي سيئاً جداً - فهل تتصورون عملاً أكثر بطولية من هذا؟

وفجأة تحدث أزمة. لا، ليست أزمة عالمية. كان يختفي أحد الكتب. ذات يوم لم أجد ريكاردو، فسألت جيني: "أين كتاب ريكاردو؟"

" تقصد مبادئ الاقتصاد السياسي؟". ظننت أنك قد انتهيت منه فأخذته إلى متجر الرهن.

فقدت أعصابي: "ريكاردو، هل رهنت كتاب ريكاردو؟"

قالت: "اهدأ. ألم نرهن الخاتم الذي أعطتنيه أمي الأسبوع الماضي؟"

هكذا كان الأمر. يتنهد. كنا نرهن كل شيء. خاصة هدايا أسرة جيني. وعندما نفدت تلك الهدايا، رهنّا ثيابنا. ذات شتاء - أتعرفون شتاء لندن؟ - أمضيت أيامي دون معطف. وذات مرة خرجت من المنزل فبدأت قدماي بالتجمد على الثلج. عندها أدركت الأمر: لم أكن منتعلا حذائي، فقد رهنّاه في اليوم الفائت.

عندما نشر "رأس المال" أقمنا احتفالاً، وكان لا بد أن يعطينا إنجلس بعض المال لنستطيع الذهاب إلى متجر الرهن ونستعيد مفارشنا وصحوننا من أجل العشاء. إنجلس.... إنه قديس. لا تصلح كلمة غيرها لوصفه. عندما كانوا يقطعون عنا الماء أو الغاز ويغرق بيتنا في الظلام وتنخفض معنوياتنا، كان إنجلس يسدد الفواتير. كان لوالده مصانع في مانشستر. نعم..... يبتسم..... لقد أنقذتنا الرأسمالية.

لم يكن يدرك حاجاتنا دائماً. لم تكن لدينا نقود للبقالة، لكنه كان يرسل لنا صناديق من النبيذ. ذات ميلاد، لم يكن لدينا نقود لشراء شجرة، وصل إنجلس حاملا ست زجاجات من الشمبانيا. لذلك تخيلنا شجرة، وتحلقنا حولها شاربين الشمبانيا ومنشدين أغاني الميلاد.

يبدأ ماركس الغناء مهمهما بقطعة من إحدى أغاني الميلاد.

أعلم ما قد يفكر به بعض أصدقائي الثوريين: ماركس الملحد، مع شجرة الميلاد !

نعم، لقد وصفت الدين بأنه أفيون الشعب، لكن أحدا لم ينتبه للفقرة ككل. اسمعوا. يلتقط كتابا ويقرأ: " الدين هو زفرة الكائن المضطهد. إنه قلب عالم لا قلب له، وروح ظروف لا روح فيها. إنه أفيون الشعب". صحيح، ليس الأفيون بحلّ، لكنه قد يكون ضرورة لتخفيف الألم. يهز رأسه. ألا أعرف هذا من دمامليّ؟ ألا يعاني العالم من حالة دمامل مرعبة؟

لا أنفك أفكر بجيني. يتوقف، ويفرك عينيه. كيف حزمت كل ما نملك، وأحضرت ابنتينا، جينيشن ولورا، عابرة القنال إلى لندن. ثم ولدت

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ثلاث مرات في شقتنا الباردة البائسة في شارع دين. لقد سهرت على أطفالها الثلاثة محاولةً تدفئتهم. ثم رأتهم يموتون واحداً تلو الآخر. غيدو، الذي لم يبلغ سنّ المشي. فرانسيسكا، التي كانت في السنة الأولى من عمرها..... لقد اضطررت لاستدانة ثلاثة جنيهات لشراء تابوتها. أما موش، فقد عاش حتى الثامنة، لكنه كان عليلاً منذ البداية. كان ذا رأس كبير جميل، لكن باقي جسده لم ينْمُ أبداً. ليلة موته، نمنا كلنا على الأرض، حول جسده، حتى جاء الصباح.

حل بنا الذعر عند مولد إليانور. لكنها كانت شيئاً صلباً. كان وجود أختين أكبر منها أمراً جيداً. بمشقة بقيت الاثنتان على قيد الحياة. ولدت جينيشن في باريس. باريس رائعة للعشاق، لكن ليس للأطفال. ثمة شيء في هوائها. كانت لورا ثانية بناتنا، وقد ولدت في بروكسل. على المرء ألا يولد في بروكسل.

لم تكن لدينا نقود في لندن. لكننا قمنا بالنزهة كل أحد. كنا نمشي قرابة ساعة ونصف في الريف، جيني وأنا والأطفال ولينشن (أوه، سأخبركم عنها...) كانت لينشن تعدّ اللحم المحمص. كنا نشرب الشاي، ونأكل خبز الفاكهة والجبن ونشرب البيرة. كانت إليانور أصغر بناتنا، لكنها كانت تشرب البيرة.

لم يكن لدينا مال، لكن الأطفال بحاجة للنزهة. ذات مرة أخذت إيجار البيت وأرسلتهم إلى ساحل فرنسا على الأطلسي. ومرة اشتريت لهنّ بيانو بالنقود المخصصة للبقالة، فبناتي يحببن الموسيقى.

لا يجوز للأب أن يفضل أحداً من أطفاله. أما إليانور ! كنت أقول

لجيني: "إليانور طفلة غريبة". فتجيبني: "أتتوقع أن يكون أطفال كارل ماركس طبيعيين؟"

كانت إليانور أصغر بناتي، وألمعهنّ. تخيل ثوريةً في الثامنة من العمر. كان هذا عمرها في ١٨٦٣ . كانت بولونيا متمردة ضد الحكم الروسي، فكتبت توسي رسالةً (هكذا كنا ندعوها، توسي) إلى إنجلس عن "أولئك الناس الصغار الشجعان في بولونيا"، كما أحبت أن تسميهم. وفي التاسعة، أرسلت رسالة إلى أمريكا، ناصحة الرئيس لينكولن حول كيفية كسب الحرب ضد خصوم الاتحاد.

كانت تدخن أيضا؛ وكانت تشرب النبيذ؛ وكانت مجرد طفلة. كانت تُلْبس دماها، بينما هي ترشف من كأس النبيذ!. كانت تلعب معي الشطرنج. وهي في العاشرة؛ ولم أكن لأهزمها بسهولة. وفي الخامسة عشرة غضبت فجأة من قانون مراعاة "يوم الربّ". لم يسمح هذا القانون بأي نشاط أيام الأحد. لكنها نظمت "أمسيات أحد للشعب" في قلعة سانت مارتن، وجلبت موسيقيين ليعزفوا ألحان هاندل وموزار وبيتهوفن. غصت القاعة بالناس. ألفان من الحضور. كان هذا غير قانوني، لكن لم يعتقل أحد. إنه درس: إن أنت أردت خرق القانون،

فاخرقه بألفين من الناس .... وموزار معهم.

كنت أقرأ لها ولأختيها من شيكسبير وإسخيلوس ودانتي، وهذا ما أحبته إليانور كثيرا. كانت غرفتها متحفا شيكسبيريا. حفظت روميو وجولييت غيبا، وكانت تصر أن أقرأ لها، مراراً وتكراراً، تلك السطور التي قالها روميو عندما رأى جولييت أول مرة:

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لمعان خدودها يُخجل تلك النجوم
مثلما ينشر المصباح ضوء النهار؛
عيناها السماويتان تنثران شلالاً من ضياء عبر الهواء،
فتغني الطيور ظانة أن الوقت لم يعد ليلاً.

لم يكن العيش مع توسي سهلاً أبدا. أتعرفون كم هو محرج أن يكون لديكم طفل يكتشف ثغرات في تفكيركم؟ كانت تجادلني في كتاباتي!. مثلا مقالتي "في المسألة اليهودية"، وأنا أعترف بأنها ليست سهلة الفهم. حسن، لقد قرأتها إليانور، وتحدتني فوراً: لماذا تفرد اليهود فقط كممثلين للرأسمالية؟ ليسوا وحدهم من تسمم بالتجارة والجشع".

حاولت أن أشرح لها: لم أكن أفرد اليهود، لقد سقتهم كمثال معبر. فكان ردها أن بدأت تضع نجمة يهودية. وأعلنت: "أنا يهودية". ماذا كان بمقدوري أن أفعل؟. هززت كتفيّ. فقالت إليانور: "إنها إشارة يهودية تماماً". كانت مزعجة جدا.

كانت توسي عالمة بأن أبي تحوّل للمسيحية. لم يكن من العمليّ أن تكون يهودياً في ألمانيا. ... أمن العملي أن تكون يهودياً في أي مكان؟ لقد عمدني كمسيحيّ في الثامنة من عمري. لقد جعلت هذه الحقيقة إليانور تستشيط غضباً. وسألتني: " يا مغربي - كانت أسرتي تدعوني مغربياً بسبب سمرة بشرتي - أعرف أنك عُمِّدت، لكنك كنت قد ختنت أولاً، أليس كذلك؟" لم يكن ليحرج تلك الطفلة شيء.

كانت مستحيلةً في ذلك الوقت. اسمعوا هذا: كانت تضع صليباً بجانب نجمتها اليهودية. لم تكن مغرمة بالمسيحية، بل بالأيرلنديين

وثورتهم ضد إنكلترا. كانت تعرف عن الثورة الأيرلندية من ليزي بيرنز، حبيبة إنجلس.

كانت ليزي عاملة في مصنع، ولم تكن تعرف القراءة. أما إنجلس فكان يتكلم تسع لغات. قد يظن المرء أن هذا يجعل التواصل بينهما صعباً جداً. لكنهما كانا عاشقين. كانت ليزي ناشطة في الحركة الأيرلندية. كانت توسي تزورها فتجلس الاثنتان على الأرض، وتشربان النبيذ معا، وتغنيان الأغاني الأيرلندية حتى تسقطا نائمتين.

حلت تلك الليلة الرهيبة، ليلة شنقت الحكومة الإنكليزية شابين أيرلنديين، هنا، في سوهو وسط تهليل جمع من السكارى. أولئك الإنكليز المهذبون، أصحاب شاي بعد الظهر والإعدامات العلنية! أعرف أنكم لم تعودوا تشنقون الناس، إنكم تخنقونهم بالغاز، أو تحقنون السم في أوردتهم، أو تستعملون الكهرباء لحرقهم حتى الموت. هذا أكثر تحضراً بكثير!. نعم، لقد شنقوا شابين أيرلنديين لأنهما أرادا التحرر من إنكلترا. لقد بكت إليانور، وبكت.

كنت أقول لها: "توسي، لا يجوز أن تنغمسي في فظائع العالم بهذه السرعة. ما زلت في الخامسة عشرة فقط". وكانت تجيبني: "هذه هي الفكرة. لست في الثالثة عشرة، ولا في الرابعة عشرة. إنني في الخامسة عشرة".

نعم. لقد كانت في الخامسة عشرة. وكانت تتيّم بأي رجل مندفع وسيم ممن يزورونا. أستطيع وضع قائمة بهم. كانت إليانور ذكية في السياسة طيلة حياتها، لكنها كانت حمقاء في الحب. جنت تماما ببطل كومونة باريس، ليساغاري. حسناً، كان فرنسياً على الأقل.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كان صديق جينيشن إنكليزيا. رجال الإنكليز كطعامهم. هل من حاجة لقول المزيد؟ كان لدينا حبيب لورا أيضا، لافارغ. كانت عروض الحماسة العلنية التي يقوم بها سخيفة. كان يضع يده على مؤخرتها أمام كل الناس، كما لو كان ذلك أكثر الأشياء طبيعيةً في العالم. كانت جيني تدافع عنه قائلة: " إنها جذوره الكريولية. تعلم أن أسرته قد جاءت إلى فرنسا من كوبا". كما لو أن الكوبيين يدورون في الشوارع واضعين أيديهم على مؤخرة أحد ما.

يتنهد..... كانت جيني تحاول تهدئتي دائما. كانت تهدئني، لكنها لم تنجح بتهدئة دماملي. يكشر.... هل كانت لديكم دمامل يوماً ما؟ ما من مرض كريه أكثر منها. لقد غزتني طيلة حياتي. بل وقادت البعض إلى محاولات غبية لتحليلي من خلال دماملي. " ماركس حانق على النظام الرأسمالي لأن لديه دمامل ! "، يا للحمقى. ماذا يفعلون إذن بكل الثوريين الذين لا دمامل لديهم؟

إنهم يجدون شيئا في كل الأحوال طبعا: هذا ضربه أبوه، وهذا أرضعته أمه حتى العاشرة من عمره؛ أما ذاك فلم يكن مدرَّباً على الآداب العامة - كما لو أنه يجب أن يكون المرء شاذاً حتى يمقت الاستغلال. كل التفسيرات عدا التفسير الواضح: الرأسمالية بطبيعتها، بهجومها على روح الإنسان، تولّد التمرد.....

آه، نعم. يقولون إن الرأسمالية صارت أكثر إنسانية مما كانت في زماني. أحقٌ هذا؟ منذ سنوات قليلة (وهذا ما جاء في الصحف) كان مالكو أحد مصانع المعلبات يقفلون الأبواب على عاملاتهم في كارولاينا

الشمالية. لماذا؟ ليحققوا أرباحاً أكبر. شب حريق، وعلقت خمس وعشرون عاملة، ومتن حرقاً.

ربما الغضب هو ما يهيج دماملي. لكن جرب أن تعمل، جرب أن تجلس والدمامل على مؤخرتك! ولا تخبرني عن الأطباء. إنهم يعرفون أقل مني. أقل بكثير، لأن الدمامل دماملي أنا.

يشرب جرعة أخرى من البيرة.

لم أكن أستطيع النوم. ثم اكتشفت أمرا عجائبياً. إنه الماء. نعم، كان الأمر بتلك البساطة. قماش منقوع بماء دافئ. كانت جيني تضع تلك القماشات على جسمي بصبر، ساعة بعد ساعة. كانت تستيقظ عندما أصيح في منتصف الليل، وتضع تلك القماشات الرطبة المهدئة.... وأحياناً، عندما لا تكون جيني موجودة، كانت لينشن تقوم بذلك.

يتوقف ليفكر.

نعم، لينشن... ها نحن، نعيش فقراء في سوهو، فتقرر والدة جيني أن ترسل لينشن، لتساعدنا في رعاية الأطفال. لقد رهنّا أثاثنا، لكن فجأة صار لدينا خادمة. هكذا تكون الأمور حين تتزوج امرأة من الطبقة الأرستقراطية: لا يرسل أهل زوجتك لك المال الذي أنت بأمس الحاجة إليه، بل يرسلون لك المفارش والفضيات، وفوق هذا خادمة. ليست هذه بالفكرة الرديئة في الواقع، فالخادمة تستطيع أخذ المفارش والفضيات إلى متجر الرهن للحصول على بعض المال. وقد قامت لينشن بذلك عدة مرات....

لكنها لم تكن خادمة قط. لقد أحبها الأطفال لدرجة العبادة،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

وكانت عاطفة جيني قوية جداً تجاهها. وعندما كانت جيني مريضة، ظلت لينشن بجانبها مهتمة بكل حاجاتها.

لكن وجودها خلق توتراً بيني وبين جيني. أتذكر مشهداً..... قالت جيني: "هذا الصباح، رأيتك تنظر إلى لينشن".

"أنظر. ماذا تقصدين؟".

"أقصد بالطريقة التي ينظر بها رجل إلى امرأة"؟

"لا زلت لا أعرف قصدك".

يهز رأسه حزينا..... كان ذلك واحداً من الأحاديث التي لا يمكن أن ينتج عنها أي خير.

كان كل هذا يجري في منزلنا في شارع دين. وفي الخارج، كانت لندن.... أيمكنكم تخيل شوارع لندن عام ١٨٥٨؟ بائعات الفاكهة اللواتي يحاولن بيع القليل للحصول على قروش قليلة؛ عازف الأرغن مع قرده؛ بائعات الهوى، والسحرة، وآكلو النار، والباعة المتجولون الصادحون بأبواقهم؛ الموسيقيون المتسولون؛ عازفو الأرغن؛ الفرق النحاسية، عازفو الكمان، وعازفو القرب الاسكتلنديون؛ ودائما، ثمة فتاة متسولة تنشد أغنية أيرلندية. هذا ما رأيته وما سمعته، ماشياً إلى بيتي كل مساء عائدا من المتحف البريطاني، تحت مصابيح الغاز التي أوقدت لتوها، إلى أن أصل شارع دين، فأخوض في الوحل والمجاري مفكراً في مدى عنايتهم برصف الشوارع في أحياء الأغنياء المجاورة. يتنهد... حسن، أظنه كان من المناسب أن يخوض مؤلف "رأس المال" في الخراء بينما يكتب إدانته للنظام الرأسمالي...

لم تكن جيني متعاطفة مع تذمري من الخوض في وحل الشوارع. كانت تقول: "هذا ما أشعر به عندما أقرأ "رأس المال"؛ لقد كانت أحدّ نقادي. لم تكن لتوفر شيئاً. قد تقولون إنها كانت صادقة. هل ثمة ما يثير الغضب أكثر من ناقد صادق؟

لقد أثار هذا الكتاب قلقها. نعم، "رأس المال". يحمل الكتاب... خافت أن أجلب الملل للناس منذ البداية بنقاشي للسلع، والقيم الاستعمالية، والقيم التبادلية. قالت إن الكتاب طويل جداً، وشديد التفصيل. كانت تستخدم كلمة "مضجر"؛ فتخيلوا.

لقد ذكرتني بما قاله صديقنا النقابي بيتر فوكس عندما أعطيته الكتاب: "أشعر وكأنني رجل قُدِّم له فيل ليربيه على سبيل الهدية".

نعم، قالت جيني، إنه فيل. حاولت إخبارها أن هذا لم يكن "البيان الشيوعي" الذي كان موجهاً لعامة الناس. إنه تحليل.

"فليكن تحليلا. لكن دعه يصرخ كالبيان"، قالت جيني، " ثمة شبح يجول في أوروبا - إنه شبح الشيوعية ! نعم، هذا ما يثير القارئ.. شبح يجول في أوروبا".

ثم قرأت لي السطور الأولى من رأس المال، لتعذبني طبعا.... يلتقط ماركس الكتاب من على الطاولة، ويقرأ: "يقدم ثراء تلك المجتمعات التي يسودها نمط الإنتاج الرأسمالي نفسه بوصفه تراكماً ضخما للسلع".

قالت جيني، "هذا ما سيجعل القارئ يسقط نائماً".

إنني أسألكم، أهذا ممل؟ قد يكون مملا قليلا، وقد اعترفت بذلك لجيني فقالت: "لا يوجد شيء اسمه ممل قليلا".

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لا تسيئوا الفهم. لقد اعتبرت جيني "رأس المال" كتاباً عميقاً. فهو يبين كيف أنه على النظام الرأسمالي أن يولد، في مرحلة محددة من التاريخ، وأن يجلب نمواً هائلاً للقوى المنتجة، وزيادة غير مسبوقة في ثراء العالم. و كيف عليه، بفعل طبيعته ذاتها، أن يوزع تلك الثروة على نحو مدمر لإنسانية العامل والرأسمالي على حد سواء. ثم كيف عليه، بفعل طبيعته، أن يخلق حفار قبره مخلياً الطريق أمام نظام اجتماعي أكثر إنسانية.

لكن جيني كانت لا تنفك تسألني: "أتعرف لماذا سمحت الرقابة بنشر الكتاب؟ لأنهم لم يستطيعوا فهمه، وقد افترضوا أن أحدا لن يستطيع ذلك".

ذكرتها أن رأس المال قد حظي بعدد من المراجعات الصحفية المحبذة. فذكرتني بأن معظم تلك المراجعات كتبها إنجلس. فقلت لها إن نقدها للكتاب عائد لكونها غير سعيدة معي. "يا للرجال. لا تصدقون أن عملكم يستحق الانتقاد فتعزون الأمر لشيء شخصي. نعم يا مغربي، ثمة مشاعر شخصية، لكن الأمرين منفصلان".

نعم، مشاعرها الشخصية. كانت جيني تعيش زمناً عصيباً آنذاك. وأظنني مسؤولاً عنه. لكني لم أعرف كيف أخفف ألمها. يجب أن تفهموا، وقعنا في الحب، أنا وجيني، عندما كنت في السابعة عشرة وكانت في التاسعة عشرة. كانت رائعة المظهر بشعرها الكستنائي وعينيها الداكنتين. ولسبب ما، أحبتني أسرتها. لقد كانوا أرستوقراطيين. يتأثر الأرستوقراطيون بالمثقفين دائماً. كانت لوالد جيني

نقاشات طويلة معي في الفلسفة اليونانية. كنت قد أنجزت أطروحة الدكتوراه، وكانت عن ديموقريطس وهيراكليطس. وكنت قد بدأت أدرك أنه ، حتى الآن، لم يقم الفلاسفة إلا بمحاولة فهم العالم؛ بينما المطلوب تغييره.

عندما نفيت من ألمانيا لحقت بي جيني إلى باريس، وهناك تزوجنا وولدت جيني جينيشن ولورا. كنا سعداء في باريس، كنا نعيش بلا شيء، ونلتقي أصدقاءنا في المقهى. كانوا يعيشون بلا شيء أيضا. يا لتلك العصبة ! باكونين، ذلك الفوضوي الأشعث الضخم. إنجلس، الملحد الوسيم. وهايني، الشاعر القديس. وشتيرنر، غير المتكيف. وبرودون، الذي يقول: "الملكية سرقة !"، لكنه يرغب بشيء منها.

أن تكون فقيرا في باريس شيء، أما أن تكون فقيرا في لندن فشيء آخر. ذهبنا إلى هناك مع طفلين، وسرعان ما حملت جيني من جديد. كنت أشعر أحيانا بأنها تلومني لأننا اضطررنا لتنشئة أطفالنا في شقة باردة رطبة، حيث كان أحدنا مريضاً على الدوام.

أصيبت جيني بالجدري. لقد شفيت، لكن ذلك ترك ندوباً في وجهها. حاولت إقناعها بأنها ما تزال جميلة، لكن ذلك لم يفد.

أتمنى لو تستطيعون معرفة جيني. لا يمكن تقدير ما فعلته من أجلي. وقد تقبلت حقيقة كوني لا أستطيع أن أتولى وظيفة كغيري من الرجال. نعم، لقد حاولت ذات مرة. كتبت طلباً للسكك الحديدية للعمل ككاتب لديها. فأجابوا كما يلي: "دكتور ماركس. يشرفنا أن تطلب وظيفة عندنا. فلم يسبق أن عمل لدينا دكتور في الفلسفة بصفة كاتب.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

لكن الوظيفة تحتاج من يملك خطاً حسناً. لذلك نأسف جدا لرد طلبك". يهز كتفيه.

آمنت جيني بأفكاري. لكنها لم تطق صبرا على ما اعتبرته ادعاءات مصاحبة للمستوى العلمي الرفيع. كانت تقول: "انزل إلى الأرض، سيدي الدكتور".

أرادت جيني أن أشرح نظرية القيمة الزائدة بحيث يستطيع العامل العادي فهمها. فقلت لها: "لا يمكن لأحد أن يفهمها ما لم يفهم نظرية القيمة أولاً، وكيف أن قوة العمل هي سلعة من نوع خاص تتحدد قيمتها بكلفة وسائل تجددها؛ لكنها تضيف قيمة لكل السلع الأخرى، قيمة تفوق قيمة قوة العمل دائماً".

كانت تهز رأسها وتقول: "لا، هذا غير مجدٍ". كل ما عليك قوله هو: "رب عملك يعطيك أقل أجر ممكن، مجرد ما يكفيك لتبقى حياً وتعمل؛ لكنه يجني من عملك ما يزيد كثيراً عما يعطيك. وهكذا يصير أغنى فأغنى، بينما تظل أنت فقيراً".

لا بأس، فلنقل إن مائة شخص فقط، في تاريخ العالم، قد فهموا نظريتي عن القيمة الزائدة. يتحمس.... لكنها ما تزال صحيحة ! في الأسبوع الماضي كنت أقرأ تقارير وزارة العمل في الولايات المتحدة الأمريكية. ها هي أمامكم. عمالكم ينتجون بضائع أكثر فأكثر، ويتلقون أجوراً أقل فأقل. فما نتيجة هذا؟ كما تنبأت تماماً. فالآن يملك الواحد بالمائة الأغنى، من سكان أمريكا، أربعين بالمائة من ثروة الأمة. وهذا هو النموذج الأعظم للرأسمالية العالمية، الأمة التي لم تسرق شعبها فقط، بل امتصت الثروة من بقية العالم أيضا...

كانت جيني تحاول دائما تبسيط أفكار هي معقدة بطبيعتها. اتهمتني بأنني باحث أولاً وثوري في المقام الثاني. كانت تقول: "إنس قراءك من المثقفين، خاطب العمال".

نعتتني بالمغرور المتعصب. وسألتني: "لماذا تهاجم الثوريين الآخرين بحماسةٍ تفوق حماسة هجومك على البرجوازية؟"

برودون مثلا. لم يفهم ذلك الرجل كيف علينا أن نصفق للرأسمالية لتطويرها الصناعة الضخمة، ثم أن نستولي على تلك الصناعة.اعتقد برودون أن علينا التراجع إلى مجتمع أكثر بساطة. وعندما كتب كتابه "فلسفة البؤس"، رددت بكتابي "بؤس الفلسفة". ظننت ذلك أمراً ذكياً، لكن جيني رأته مهيناً. يتنهد... أعتقد أن جيني كانت أكثر إنسانية بكثير مما كنت أستطيع أن أكون.

كانت تشجعني على التخلص من ماضيّ والانخراط في قضايا عمال لندن. رافقتني عندما دعيت لمخاطبة أول اجتماع لجمعية العمال الأممية. كان هذا في ١٨٦٤ . احتشد ألفان من الناس في قاعة سانت مارتين. يخطو إلى الأمام، ويمد ذراعه، كما لو كان أمام جمع كبير، متكلماً بقوة ووضوح شديدين:

"يجب أن يتحد عمال كل البلدان ضد السياسات الخارجية المجرمة التي تلعب على التحيز القومي، والتي تهدر دم الشعب وثروته في الحروب. علينا أن نتحد عبر الحدود القومية لنصون أبسط قوانين الأخلاق والعدالة في الشؤون الدولية..... يا عمال العالم، اتحدوا !".

... يتوقف قليلا.... كانت جيني تحب ذلك.... يتناول جرعة من الشراب.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

جيني هي من جعلت عائلتنا تستمر؛ مع انقطاع الماء، ومع انقطاع الغاز. لكنها لم تتعب أبدا من طرح قضية تحرر المرأة. كانت تقول إن حيوية المرأة قد أوهنت بسبب ملازمة المنزل لتطبخ وترفو الجوارب. لذا فقد رفضت ملازمة منزلها.

كانت تتهمني بأني نصير لتحرر المرأة نظرياً، لكن جاهل بمشاكل النساء من الناحية العملية. "أنت وإنجلس تكتبان عن المساواة الجنسية لكنكما لا تمارسانها". حسنٌ، لن أعلّق على هذا.

ناصرت جيني كفاح الأيرلنديين ضد إنكلترة من كل قلبها. كانت الملكة فيكتوريا قد قالت: "هؤلاء الأيرلنديون قوم مرعبون حقا. إنهم ليسوا كالأمم المتحضرة الأخرى". فكتبت جيني رسالة إلى صحف لندن تقول: "تشنق إنكلترة الثوار الأيرلنديين الذين لم يطلبوا إلا الحرية. فهل إنكلترة أمة متحضرة؟"

كنا، جيني وأنا، في حب عاصف. كيف أجعلكم تدركون ذلك؟ لكننا مررنا بأوقات كالجحيم في لندن. كان الحب لا يزال موجودا. لكن، وعند نقطة معينة، تغيرت الأمور. لا أعرف لماذا. قالت جيني إن ذلك كان لأنها لم تعد تلك الجميلة التي أحببتها. أغضبني هذا. وقالت إن ذلك كان بسبب لينشن. أغضبني هذا أكثر. قالت إنني غضبت لأن الأمر صحيح. فجعلني هذا أجن غضباً.

يتنهد، ويشرب جرعة من بيرته. ينظر إلى الصحف على الطاولة، ويلتقط واحدة منها.

يدعون أن الشيوعية قد ماتت بسبب انهيار الاتحاد السوفييتي.

يهز رأسه.... أيعرف أولئك الحمقى ما هي الشيوعية؟ أيظنون أن نظاماً يديره سفاحٌ يقتل رفاقه الثوريين هو الشيوعية؟ خراء !

ما نوع التعليم الذي تلقاه الصحفيون والسياسيون الذين يقولون هذه الأشياء؟ هل قرؤوا "البيان الشيوعي" الذي كتبته مع إنجلس عندما كان في الثامنة والعشرين وكنت في الثلاثين؟

يمد يده إلى كتاب على الطاولة ويقرأ..

بدلاً من المجتمع البرجوازي القديم، بطبقاته ونزاعاته الطبقية، سيكون لدينا اتحاد يكون فيه التطور الحر للفرد شرطاً للتطور الحر للمجموع". أتسمعون هذا؟ اتحاد ! فهل يفهمون هدف الشيوعية؟ إنه حرية الفرد بتطوير نفسه ككائن بشري شفوق. أيظنون أن شخصا يدعو نفسه شيوعياً أو اشتراكياً، ثم يتصرف كأحد أفراد العصابات، يفهم ما هي الشيوعية؟

أن ترمي من يخالفك الرأي بالرصاص ! ليست هذه بالشيوعية التي وهبت حياتي لها؟ ذلك الوحش الذي استأثر بالسلطة كلها في روسيا، وأصر على إظهار أفكاري كنوع من التعصب الديني، وكان يضع رفاقه القدامى إلى الحائط قبالة فرق الإعدام. هل سمح لمواطنيه بقراءة تلك الرسالة التي كتبتها لصحيفة نيويورك تريبيون والتي قلت فيها إن عقوبة الإعدام لا يمكن تبريرها في أي مجتمع يدعو نفسه متحضراً؟ غاضبا.. لا يجوز للاشتراكية أن تعيد إنتاج حماقات الرأسمالية !

هنا في أمريكا تزدحم السجون بالناس. فمن نجد فيها؟ إنهم الفقراء. ارتكب بعضهم عنفاً، وجرائم بشعة. لكن معظمهم لصوص

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ونهابون وبائعو مخدرات. إنهم مؤمنون بالمشروع الحر ! لا يفعلون إلا ما يفعله الرأسمالي، إنما على نطاق أصغر بكثير.

يلتقط كتابا آخر... أتعلمون ما كتبناه، إنجلس وأنا، عن السجون؟

- : " بدلا من معاقبة الأفراد على جرائمهم علينا تدمير الشروط الاجتماعية التي تولد الجريمة، وعلينا إعطاء كل فرد الفرصة التي يحتاجها في مجتمعه لتطوير حياته".

أوه، نعم. لقد تحدثنا عن "ديكتاتورية البروليتاريا"؛ لم نتحدث عن ديكتاتورية الحزب، ولا عن ديكتاتورية اللجنة المركزية، ولا عن ديكتاتورية الفرد. لا، لقد تحدثنا عن ديكتاتورية مؤقتة للطبقة العاملة. ستستولي جماهير الشعب على الدولة وتحكم لمصلحة الكل، إلى أن تغدو الدولة نفسها نافلة وتختفي تدريجيا.

لم يوافق باكونين على هذا طبعا. قال إن الدولة، بما فيها الدولة العمالية، إن كان لديها جيش وشرطة وسجون، ستغدو طغياناً. لقد أحب مجادلتي.

هل تعرفون باكونين؟ باكونين الفوضوي؟ لو اختلق روائي شخصيةً مثله لقلتم إن وجود شخص كهذا أمر مستحيل. لنقل إنني وباكونين لم نتوصل إلى تفاهم كبير.

اسمعوا ما قال عندما كنا، إنجلس وأنا، في بروكسل نكتب "البيان الشيوعي". يرفع ماركس ورقة عن الطاولة ويقرأ: "ماركس وإنجلس برجوازيان أصيلان، وخاصة ماركس".

طبعا، كنا برجوازيين أصيلين بالمقارنة مع باكونين. كان الجميع

برجوازيين بالنسبة له، لأن باكونين اختار أن يعيش كخنزير. فإن لم تحبب العيش كخنزير؛ إن كان لك سقف يؤويك، وإن كان لديك بيانو في غرفة الجلوس، إذا كنت تستمتع ببعض الخبز الطازج وشيء من النبيذ، فأنت برجوازي إذن.

أعترف بشجاعة ذلك لرجل. لقد سجن، وأرسل إلى سيبيريا، وهرب متجولاً في العالم ليثير الثورات في كل مكان. أراد مجتمعاً فوضوياً، لكن الفوضوية الوحيدة التي نجح في تأسيسها كانت في رأسه. حاول بدء ثورة في بولونيا، لكنه كاد يقتل نفسه بمسدسه. فشلت ثوراته في كل مكان، لكنه كان مثل رجل لا يدفعه فشله مع النساء إلا لطلب المزيد.

هل رأيتم صورة لباكونين؟ عملاق بين الرجال ! رأس أصلع، يغطيه بقبعة رمادية صغيرة، ولحية هائلة، وتعابير وجه ضارية. لم تكن لديه أسنان بسبب الأسقربوط الناتج عن جوع السجون. كان يبدو عائشاً لا في هذا العالم، بل في عالم من صنع خياله. كان غير مدرك لمعنى النقود؛ إن كان لديه شيء منها فهو يعطيها لأي كان، وإن لم يكن لديه استدان دون أي نية بإعادتها. لم يكن لديه بيت. كان يصل إلى بيت أحد الرفاق معلنا: "أنا هنا، فأين أنام؟ وماذا لديكم لآكل؟". وخلال ساعة واحدة يتصرف كما لو كان البيت بيته، لا بيت مضيفه.

ذات مرة في سوهو، وكنا نتناول عشاءنا، اندفع باكونين داخلاً. لم يتعب نفسه بقرع الباب. كان من عادته أن يصل وقت العشاء. فوجئنا به، فقد ظننا في إيطاليا. في كل مرة كنا نسمع أخباره كان في بلد بعيد ما، ينظم ثورة ما. إذن، فقد كاد يخلع الباب من مُفَصَّلاته. دخل،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ونظر حوله، ثم ابتسم ابتسامته عديمة الأسنان وقال: "مساء الخير يا رفاق". ودون انتظار الجواب، جلس إلى المائدة وبدأ التهام النقانق واللحم بلقمات ضخمة، مضيفا لها الجبن أيضا، وكأسا بعد كأس من البراندي.

قلت له: "ميخائيل، جرب النبيذ، فلدينا منه الكثير. البراندي غال جدا".

شرب شيئا من النبيذ، وبصقه فورا. "لا طعم له إطلاقاً، البراندي يساعد على التفكير بوضوح أكبر".

عند ذلك بدأ أداء المعتاد، واعظاً ومناقشاً وآمراً وصائحاً وناصحاً. استبد بي الغضب، لكن جيني تكلمت: "توقف يا ميخائيل، فأنت تستهلك كل أوكسجين الغرفة". فانفجر ضاحكاً، وعاد لما كان فيه.

كان رأس باكونين مترعاً بالقمامة الفوضوية؛ بهراء رومانسي طوباوي. وددت أن أطرده من الأممية. لكن جيني رأت ذلك سخفاً. وسألت، لماذا تهدد جماعة ثورية من ستة أشخاص بطرد أحد ما دائماً؟

كانت لباكونين مائة طريقة للتنكر لأن الشرطة كانت تبحث عنه في كل بلاد أوروبا. عندما قدم إلينا في لندن كان متنكراً بهيئة قس. هذا ما ظنه على الأقل، فقد بدا منظره سخيفاً.

بقي معنا أسبوعاً. وذات مرة سهرنا الليل كله نشرب ونتجادل، ثم نشرب ثانية، حتى لم يعد أحد منا قادراً على المشي. في الحقيقة، سقطت نائما في منتصف إحدى خطبه. هزني حتى استيقظت وقال: "لم أنه فكرتي بعد".

كان هذا في زمن مجيد، في شتاء ١٨٧١، عندما استولت الكومونة على السلطة في باريس.... نعم، كومونة باريس. قفز باكونين، بقضه وقضيضه، إلى قلب الثورة. لقد فهمه الفرنسيون جيدا. كانوا يقولون: "باكونين كنزٌ في أول يوم للثورة. أما في اليوم الثاني فيجب إعدامه".

هل تعرفون شيئا عن ذلك الفصل الرائع من تاريخ البشرية، كومونة باريس؟ بدأت القصة بتصرف أحمق. إني أتحدث عن نابوليون الثالث، ابن أخ بونابارت.

كان مهرجا، ممثلا على خشبة مسرح يبتسم للحشود بينما يعيش ستة عشر مليوناً من الفلاحين الفرنسيين في زرائب مظلمة، ويموت أطفالهم جوعاً. لكن، ولأنه كانت لديه هيئة تشريعية، ولأن الناس يقترعون، فقد ظن أن لديهم ديموقراطية..... خطأ شائع.

أراد بونابارت المجد، فارتكب خطأ مهاجمة جيوش بسمارك. سرعان ما هزم، ودخلت جحافل الألمان منتصرة إلى باريس فاستقبلت بما هو أكثر إحباطاً من البنادق، الصمت. وجدوا تماثيل باريس مجللة بالسواد. مقاومة ضخمة ، صامتة لا مرئية. تصرف الألمان بحكمة. استعرضوا قواتهم عبر قوس النصر، وغادروا باريس سريعاً.

لكن النظام الفرنسي القديم، الجمهورية، الليبراليون كما كانوا يسمون أنفسهم، لم يجرؤوا على العودة إلى باريس. كانوا يرتعدون خوفاً. فبعد ذهاب الألمان، صارت باريس بيد العمال وربات البيوت والموظفين والمثقفين؛ صارت بيد المواطنين المسلحين. لم يشكل أهل باريس حكومة،

https://telegram.me/maktabatbaghdad

بل شكلوا شيئا أعظم مجداً، شيئا تخشاه الحكومات أينما كانت: إنها الكومونة، طاقة الشعب الجماعية. كانت تلك "كومونة باريس".

كان الناس يجتمعون، على مدار الساعة، في أنحاء المدينة كلها؛ جماعات من ثلاثة إلى أربعة أشخاص، يتخذون القرارات معاً، بينما كانت المدينة مطوقة بالجيش الفرنسي الذي يهدد باجتياحها في أية لحظة. صارت باريس أول مدينة حرة في العالم، أول جزيرة حرية في عالم الطغيان.

قلت لباكونين: "أتريد معرفة ما أقصده بديكتاتورية البروليتاريا؟ انظر إلى كومونة باريس. إنها الديموقراطية الحقّة". ليست ديموقراطية بريطانيا ولا الولايات المتحدة حيث الانتخابات مثل سيرك، وحيث يختار الناس واحداً أو آخر من حماة النظام القديم، وحيث يستمر الأغنياء بحكم البلاد مهما يكن المرشح الفائز.

لم تعش كومونة باريس إلا أشهراً معدودة. لكنها كانت أول هيئة تشريعية ممثلة للفقراء في التاريخ. كانت قوانينها لهم. لقد ألغت ديونهم، وأجلت إيجاراتهم، وأجبرت متاجر الرهن على إعادة الممتلكات الأكثر ضرورية لأصحابها. رفض رجال الكومونة تقاضي رواتب تفوق رواتب العمال. خفضوا من ساعات عمل الخبازين. ووضعوا خططاً لجعل المسرح مجانياً للجميع.

لقد ترأس كوربيت العظيم نفسه، وهو من أدهشت لوحاته أوروبا، اتحاد الفنانين. أعيد افتتاح المتاحف، وأنشئت لجنة لتعليم المرأة، وهو ما لم يسمع به أحد من قبل: التعليم للنساء !. استفادت الكومونة من آخر ما توصل إليه العلم، البالون الأخف من الهواء. وأطلقت واحداً إلى خارج

باريس ليحلق فوق الريف المجاور ويسقط للفلاحين أوراقاً مطبوعة تحمل رسالة بسيطة وقوية، رسالة يجب إيصالها لكل الناس العاملين على ظهر البسيطة: "مصالحنا واحدة".

أعلنت الكومونة هدف المدرسة بالنسبة لها: تعليم الأولاد محبة واحترام أقرانهم من البشر. لقد قرأت مناقشاتكم التي لا تنتهي عن التربية. يا للهراء!. تعلّمون كل ما يلزم المرء للنجاح في عالم رأسمالي. لكن هل تعلّمون الشبيبة أن تناضل ضد الظلم؟

فهم الكومونيون أهمية هذا. لم يمارسوا التعليم بالكلام فقط، بل بأفعالهم أيضاً. لقد حطموا المقصلة، رمز الطغيان، حتى الثوري منه. ثم تجمعوا مرتدين أوشحة حمراء، حاملين راياتٍ حمراء كبيرة، وسط أبنية مزينة بحبال من رقاعٍ حمر، حول مسلّة الفاندوم، رمز القوة العسكرية: نصب كبير يعلوه رأس برونزي لنابوليون بونابارت. وضعت حلقة حول ذاك الرأس، ودارت عجلة، فسقط الرأس على الأرض حطاماً. صعد الناس فوق الحطام، وارتفعت راية حمراء فوق المسلّة. صارت المسلّة رمزاً لا لبلدٍ واحد، بل للجنس البشري كله. وبكى الرجال والنساء فرحاً.

كانت هذه كومونة باريس. كانت الشوارع ملآنة دائما، ودارت النقاشات في كل مكان. ثم سارت جيوش الجمهورية إلى باريس، وبدأت المذبحة. أخذوا قادة الكومونة إلى مقبرة بير لاشيز، صفّوهم عند الحائط الحجري، وأطلقوا النار عليهم. قتل ثلاثون ألفاً من الناس.

سحقت الكومونة على يد الذئاب والخنازير. لكنها كانت أعظم إنجازات زماننا مجداً.....

https://telegram.me/maktabatbaghdad

يمشي، ويشرب مزيدا من البيرة.

شربنا وتجادلنا، باكونين وأنا. قلت له: "ميخائيل، أنت لا تدرك مفهوم الدولة العمالية. لا نستطيع هز الماضي كله في لحظة حماس. علينا أن نخلق مجتمعاً جديداً من بقايا النظام القديم. وهذا يتطلّب وقتاً".

قال: "لا، على الناس أن يعيشوا الحرية فور إسقاط النظام القديم، وإلا فقدوها".

بدأ الأمر يأخذ طابعاً شخصياً. نفد صبري وقلت: "أنت أكثر غباءً من أن تفهم هذا".

كان البراندي قد لعب برأسه أيضا. قال: "ماركس، أنت ابن زانية مغرور، كما أنت دائماً. أنت من لا يفهم شيئاً. أتظن العمال سيصنعون الثورة بناء على نظرياتك؟ إنهم لا يلقون بالاً إليها. سيثور غضبهم عفوياً، وسيصنعون الثورة مستغنين عن العلم الذي تدّعيه. إن غريزة الثورة موجودةٌ في دمائهم".كان قد ثار غضباً. "إنني أبصق على نظرياتك".

مع قوله هذا، بصق على الأرض، فقلت: "ميخائيل، بإمكانك البصاق على نظرياتي، لكن ليس على أرض منزلي. نظف ذلك فوراً".

"هكذا. عرفت دائماً أنك متنمّر".

فقلت: " وأنا عرفت دائما أنك مخصيّ".

زأر باكونين فبدا صوته كصوت حيوان من قبل التاريخ، وقفز فوقي. إفهموني، كان الرجل ضخماً جداً. تعاركنا على الأرض، لكننا كنا أكثر سكراً من أن يستطيع أحدنا إيذاء الآخر. كنا متعبين فظللنا

مستلقيين على الأرض، محاولين التقاط أنفاسنا. نهض باكونين، كفرس نهر خارج من الماء، وفك أزرار سرواله، ثم بدأ يتبول من النافذة !.

"ميخائيل، ماذا تفعل بحق الجحيم؟"

"ما تظنني فاعلاً؟ إنني أتبول من نافذتك".

قلت: "هذا مقرف يا ميخائيل".

"أنا أبول على لندن، أبول على الإمبراطورية البريطانية كلها".

قلت: "لا، أنت تبول على شارعي".

لم يحر جواباً. زرّر سرواله واستلقى على الأرض، ثم بدأ الشخير. ظللت مستلقياً على الأرض، وسرعان ما غفوت.

بعد ساعات، وجدتنا جيني بهذا الوضع عندما استيقظت مع الفجر. يتوقف، ويأخذ جرعة من البيرة.

لا، لم يكونوا ليتركوا الكومونة تعيش. كانت الكومونة خطرة، كانت مثالاً ملهماً جداً للعالم كله، لذلك فقد أغرقوها بالدماء. لا يزال هذا يحدث؛ في أي مكان، في أية زاوية من زوايا العالم، عندما يزاح النظام القديم، ويبدأ الناس تجربة العيش بطريقة جديدة - أناس بريئون من كل الآيديولوجيات، مجرد غاضبين من نمط حياتهم - لا يسمح لهم بذلك. وهكذا فإنهم يهبون إلى العمل (تعرفون من أقصد بكلمة هم) ، خفيةً أحياناً، وجهراً وعنفاً في أحيان أخرى، لتدمير الأمر كله.

يقرأ من إحدى الجرائد..

إذن، فهم مستمرون بالقول: "لقد انتصرت الرأسمالية". انتصرت ! لماذا ؟ الأن سوق الأسهم ارتفعت حتى السماء، ولأن حاملي الأسهم

https://telegram.me/maktabatbaghdad

صاروا أغنى من ذي قبل؟ انتصرت؟ عندما يعيش ربع أطفال أمريكا في الفقر، وعندما يموت أربعون ألفاً منهم قبل عيد ميلادهم الأول!

يقرأ من الجريدة ثانية..

يصطف مائة ألف إنسان في مدينة نيويورك قبل الفجر من أجل ألفي فرصة عمل. ما الذي سيحدث للثمانية والتسعين ألفاً الباقين؟ ألهذا تبنون سجوناً جديدةً؟ نعم، لقد انتصرت الرأسمالية؛ لكن على من؟

لديكم عجائب تقنية، لقد أرسلتم بشراً إلى الفضاء، لكن ماذا عن الذين ظلوا على الأرض؟ لماذا هم خائفون لهذه الدرجة؟ لماذا يلجؤون للمخدرات، وللكحول؟ لماذا يصيبهم السعار ويقتلون؟ يرفع الجريدة .... نعم. إن هذا موجود في الجرائد.

يتيه ساستكم غروراً وكبراً، ويقولون إن العالم ينتقل الآن نحو "نظام المشروع الحر".

هل ألمّ الحمق بكم جميعاً؟ هل تعرفون تاريخ نظام المشروع الحر؟ ولماذا لم تقدم الحكومات شيئاً للناس بينما تقدم كل شيء للأثرياء؟ وهبت حكومتكم مائة مليون أكرٍ من الأرض لشركة الخطوط الحديدية، ثم أشاحت بوجهها عن المهاجرين الصينيين والأيرلنديين الذين كانوا يعملون اثنتي عشرة ساعةً يومياً في تلك الخطوط، ويموتون من البرد ومن الحر. وعندما تمرد هؤلاء وأضربوا عن العمل، أرسلت الحكومة الجيوش لتحطيمهم وإخضاعهم إخضاعاً.

لماذا، بحق الجحيم، كتبت "رأس المال" إن لم يكن لأنني رأيت بؤس الرأسمالية وبؤس "نظام المشروع الحر". في إنكلترا، كانوا يشغّلون

الأطفال الصغار في معامل النسيج لأن أصابعهم الضئيلة تستطيع التحكم بالمكوك. وفي أمريكا، كانت الفتيات الصغيرات يذهبن للعمل في مصانع ماساشوستس في عمر العاشرة، ويمتن في الثانية والعشرين. كانت المدن مباءةً للرذيلة والفقر. تلكم هي الرأسمالية، يومها والآن.

نعم، لقد رأيت وسائل الرفاهية في إعلانات صحفكم وعلى شاشاتكم. يتنهد.... كل تلك الشاشات، وكل تلك الصور. ما أكثر ما ترون، وما أقل ما تعرفون !

ألا يقرأ أحد التاريخ؟ يغدو غاضبا... أي هراء تعلّمونه في مدارسكم اليوم؟

تومض الأضواء منذرة مهددة. ينظر ماركس للأعلى..... إنهم شديدو الحساسية.

اشتقت لجيني. لا بد أن لديها ما تقوله عن هذا كله. رأيتها تموت، مريضة وبائسة عند النهاية. لكنها تذكرت أيام سعادتنا حتماً، لحظات نشوتنا في باريس، وحتى في سوهو.

اشتقت لبناتي....

يمسك بالجريدة ثانية، ويقرأ: "الذكرى السنوية لحرب الخليج. نصر سريع، حاسمٌ وجميل". نعم، أعرف تلك الحروب السريعة الجميلة التي تخلف آلاف الجثث في الحقول، وتخلف أطفالا يموتون بسبب قلة الطعام والدواء. يلوِّح بالجريدة.... في أوروبا وأفريقيا، وفي فلسطين، يقتل الناس بعضهم بعضاً من أجل الحدود.

يبدو معذباً.... ألم تسمعوا ما قلته منذ مائة وخمسين عاماً؟

https://telegram.me/maktabatbaghdad

امحوا تلك الحدود القومية السخيفة، كفاكم جوازات سفر، كفاكم تأشيرات وحرس حدود وحصص هجرة. كفاكم أعلاماً وإشارات ولاء لكيان اصطناعي اسمه الأمّة. يمسك وركه ويسير على المسرح... يا إلهي، كم يؤلمني ظهري..

إنني أعترف: لم أدرك قدرة الرأسمالية على الاستمرار. لم أتخيل إمكانية وجود أدوية تبقي ذلك النظام المريض حياً. لم أدرك أن الحروب ستجعل الصناعة تستمر، وستجعل الناس يجنّون وطنيةً بحيث ينسون بؤسهم؛ ويجنون تطرفاً دينياً يعِد الناس بعودة المسيح. يهز رأسه.... أعرف المسيح. وهو لن يعود.....

أخطأت عام ١٨٤٨ بظني أن الرأسمالية كانت على وشك الأفول. كان توقيتي خاطئاً بعض الشيء. ربما بمائتي سنة. يبتسم... لكنها ستتحول. كل النظام الحالي سيتحول. ليس الناس بحمقى. أتذكر رئيسكم لينكولن عندما قال إنك لا تستطيع خداع كل الناس كل الوقت. سيجمعهم حسّهم السليم معاً، وستجمعهم غريزة العدالة.

لا تسخروا ! فقد حدث هذا من قبل. ويمكن أن يحدث ثانية وعلى نطاق أكبر بكثير. وعندما يحدث، لن يجد حكام المجتمع، بكل ثرائهم وكل جيوشهم، من القوة ما يكفي لمنعه. سيرفض خدمهم الخدمة، وسيعصى جنودهم الأوامر.

نعم. لقد حققت الرأسمالية عجائب لم يعرف التاريخ لها مثالاً، عجائب تقنيةٍ وعلمية. لكنها تعدّ لموتها. إن شراهتها للربح، للمزيد والمزيد والمزيد، تخلق عالماً من الهياج. إنها تحيل كل شيء إلى سلع تباع

وتشترى، الفن والأدب ، والموسيقى ، وحتى الجمال نفسه. إنها تحيل البشر إلى سلع. ليس عمال المصانع فقط، بل الأطباء والعلماء والمحامون والشعراء والفنانون. كل يبيع نفسه ليعيش.

ما الذي سيحدث عندما يتيقن كل هؤلاء الناس أنهم محض عمال، وأن لديهم عدواً مشتركاً؟ سينضمون للآخرين ليحققوا ذواتهم. ليس في بلادهم فحسب، فالرأسمالية تحتاج سوقاً عالمية. شعارها "حرية التجارة" لأنها بحاجة لأن تصول وتجول بحرية في عرض الأرض وطولها لتحقق أرباحاً أكثر فأكثر. لكنها، بفعلها هذا، تخلق ثقافةً عالمية دون قصد منها. يجتاز الناس الحدود كما لم يفعلوا من قبل، وتجتازها الأفكار. سينتج شيء جديد عن هذا، لا محالة.

يتوقف متأملا.....

عندما كنت في باريس مع جيني عام ١٨٤٣، كنت في الخامسة والعشرين، كتبت أنه في النظام الصناعي الجديد يجد الناس أنفسهم مغتربين عن عملهم لأنه غير ممتع لهم. إنهم مغتربون عن الطبيعة لأن الآلات والدخان والروائح والضجة تغزو حواسهم كلّها. يدعون ذلك تقدماً. إنهم مغتربون عن الآخرين لأن كلاً منهم قد وضع في مواجهة مع كل من عداه في تزاحم من أجل البقاء. إنهم مغتربون عن ذواتهم، يحيون حياة غير حياتهم، ويعيشون كما لا يرغبون بالعيش حقاً؛ لذا لا يكون العيش الجيد ممكناً إلا بالأحلام، وبالوهم.

لكن هذا ليس حتماً عليهم. ما زالت إمكانية الاختيار قائمة. إمكانية فقط، أؤكد لكم هذا. لا شيء حتميّ. لا شيء مؤكد. هذا واضحٌ

https://telegram.me/maktabatbaghdad

الآن. كنت متأكدا جدا في السابق، لكنني أعرف الآن أن كل شيء ممكن الحدوث. لكن على الناس أن يتحركوا.

أيبدو هذا شديد الراديكالية بالنسبة لكم؟ تذكروا أن الراديكالية تعني ببساطة أن نقبض على جذر المشكلة. والجذر هو نحن.

لدي اقتراح. تظاهروا أن لديكم دمامل. تظاهروا أن الجلوس على مؤخراتكم يسبب ألماً عظيماً لكم، لذا فلا بد لكم من الوقوف. لا بد لكم من الحركة. لا بد لكم من الفعل.

دعونا لا نزيد في الحديث عن الرأسمالية والاشتراكية. دعونا نتحدث فقط عن استخدام ثروة الأرض التي لا تصدق من أجل البشر. أعطوا الناس ما هم بحاجة إليه: الطعام والدواء والهواء النظيف والماء النقي. أعطوهم أشجاراً وعشباً. أعطوهم بيوتاً تسرّ نفوسهم بالعيش فيها. أعطوهم بعض ساعات العمل، وساعاتٍ أكثر للفراغ. لا تسألوا عمن يستحق ذلك. كل كائن بشري يستحقه.

حان وقت الرحيل.

يجمع أغراضه، ويبدأ بالانصراف ثم يستدير.

هل كرهتم عودتي وإزعاجي لكم؟ انظروا للأمر بهذه الطريقة: إنه العود الثاني. لم يستطع المسيح فعله، لذلك عاد ماركس....

https://telegram.me/maktabatbaghdad

عن المؤلف

هوارد زين بروفيسور فخري في جامعة بوسطن. هو مؤلف الكتاب الكلاسيكي /التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية/، "تأريخ لامع ومؤثر للشعب الأمريكي من وجهة نظر من... تم حذف أقوالهم من معظم كتب التاريخ" (لايبراري جورنال). نال زين مؤخرا الجائزة الأدبية لمؤسسة لانان عن الأعمال غير الروائية، كما نال جائزة يوجين دبس من أجل كتاباته ونشاطه السياسي.

ألف زين عددا كبيرا من الكتب. ومنها "قارئ زين"، وكتاب السيرة الذاتية "لا تستطيع أن تكون محايداً على قطار مندفع"، ومسرحية "إيمّا" المنشورة ضمن كتاب المقتطفات الأدبية المختارة (ساوث إند برس).

ترعرع زين في بروكلين، وعمل في أحواض السفن قبل أن يخدم كقاذف قنابل في القوة الجوية إبّان الحرب العالمية الثانية. ترأس زين قسم التاريخ في كلية سبيلمان، حيث شارك بفاعلية في حركة الحقوق المدنية وذلك قبل عمله في جامعة بوسطن. يعيش الآن مع زوجته روزالين في ماساشوستس ويلقي محاضرات في التاريخ وفي السياسة المعاصرة.

https://telegram.me/maktabatbaghdad

ملاحظة عن "ماركس في سوهو"

قدمت "ماركس في سوهو" للمرة الأولى عام ١٩٩٥ على مسرح تشيرتش ستريت في واشنطن العاصمة. وفي ١٩٩٦، قدمت في كارلتون كوليدج وجامعة مانكاتو الحكومية في مينيسوتا. كما قدمها مركز برودوي للفنون في آشفيل - كارولاينا الشمالية عام ١٩٩٧ . قرئت المسرحية أيضا عام ١٩٩٨ في جامعة بوسطن في ماساشوستس.

للحصول على الإذن بتقديم "ماركس في سوهو" على المسرح، يرجى الكتابة إلى هوارد زين، ساوث إند برس،٧ شارع بروكلين، الفرع ١، كامبريدج MA 02139-4146

https://telegram.me/maktabatbaghdad

كتب أخرى لهوارد زين

مستقبل التاريخ: مقابلات مع ديفيد بارساميان. (كومن كاريج برس،١٩٩٩)

قاريء زين: كتابات في العصيان والديموقراطية. (سفن ستوريز برس،١٩٩٧)

التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية:١٤٩٢ - الآن، مراجعاً وموسعاً (هاربر كولينز، ١٩٩٥)

لا تستطيع أن تكون محايدا على قطار مندفع: تأريخ شخصي لزماننا (بيكون برس، ١٩٩٤)

الفشل بالانسحاب: تأملات مؤرخ متفائل (كومن كاريج برس، ١٩٩٣)

إعلانات الاستقلال: استجواب الآيديولوجية الأمريكية (هاربر كولينز، ١٩٩٠)

سياسات التاريخ، الطبعة الثانية (منشورات جامعة إلينويز، ١٩٩٠)

إيمًا. في كتاب المسرحيات المشترك لكل من زين وسارجنت وكلين (ساوث إند برس،١٩٨٦)

SNCC: دعاة إلغاء الرق الجدد (بيكون برس،١٩٦٤)

تصميم الغلاف: خالد سليمان

مكتبة بغداد

ISBN:2-84305-826-X
9 782843 058264

https://telegram.me/maktabatbaghdad